جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية ـشعبة الفلسفة
ماستير1، تخصص فلسفة غربية حديثة ومعاصرة/ سداسي أول
مقياس فلاسفة التنوير
محاضرة رقم07

فلاسفة التنوير الفرنسي

بخلاف التنوير الألماني الذي غلب عليه الكشوفات الفلسفية والعقلانية الصارمة والطروحات الميتافيزيقية، ظهر التنوير الفرنسي من الأوساط الاجتماعية والسياسية ومن مشاكل الحياة اليومية التي واجهها الفرنسيون في نهاية القرن 18، وبالتحديد بعد الثورة الفرنسية، وبرزت نخب تؤمن بالفكر المادي والذي عرف من بعد بالمادية الفرنسية، والتي تعد مرجعا رئيسا للأنوار الفرنسية.

المادية الفرنسية:

ظهرت المادية الفرنسية بوضوح باتحاد تيارين فلسفيين كبيرين وهما:

-الفلسفة التجريبية الإنجليزية بزعامة فرنسيس بيكون

-الفلسفة الفرنسية الحديثة ويتزعمها رينيه ديكارت، خاصة الجانب المادي في فلسفته.

تياران يعدان مرجعا للفلسفة الأوربية في العصر الحديث حسب تعبير كارل ماركس وانجلز، واللذان سيشكلان المادة الحيوية للموسوعيين الفرنسيين في القرن 18، وهذا ما أشار إليه كارل ماركس وانجلز: إن كل علم يقوم على التجربة ووظيفته اخضاع المعطيات المقدمة من الحواس لمنهج عقلاني في البحث والاستقرار

والتحليل والملاحظة والتجريب، هي الأشكال الرئيسية لمنهج عقلاني من ذلك الطراز.

وتظهر مادية فرنسيس بيكون في تركيزه على مبدأ الحركة والتي اعتبرها الخاصة الأولى والأهم بين الخواص الملازمة للمادة، وأن المادية تحتوي على براعم تطور متعدد الأشكال، ومن مادية بيكون عبرت عبر هوبز وجون لوك.

وحول أهمية الفكر المادي في التنوير يقول ماركس: كان هوبز قد نقد مذهب بيكون من دون أن يقدم مع ذلك برهانا على مبدأ بيكون الأساسي: أصل المعارف والأفكار المقتبسة من عالم الإحساس، ولوك هو الذي قدم ذلك البرهان في مقالة في الادراك البشري، خاصة وأن لوك أمن بأن جميع الأفكار تأتينا من عالم التجربة وبه نكون في صلب فلسفة الأنوار.

زيادة عن تأثير الفلسفة المادية على تجربة التنوير الفرنسية، نجد الحالة الاقطاعية التي كانت ضاربة في المجتمع الفرنسي، والتي هاجمها فلاسفة الموسوعة بشدة، ضد التعصب والظلم والوحشية، رافعين شعارات المساواة بين البشر، ونقلها من مجال التنظير في العلوم والفلسفة إلى مجال الممارسة الاجتماعية والسياسية، معارضين التصورات القديم التي تسير المجتمعات والأفراد، وفهذا المسعى قال ديدرو: إذا كان الاضطهاد منافيا للوداعة وللقوانين الإنسانية، فإنه يتعارض أيضا مع العقل والسياسة المستقيمة.

ويقول دولباخ: لا يمكن أن يسلب البشر حرية التفكير في موضوع الدين إلا عسفا وظلما، تتساوى فيها العبثية واللاجدوى.

ويقول كهنوت: ممكن بأنه عصابة مؤلفة من بعض الدجالين ضد حرية الجنس البشري وسعادته وراحته. أما هفلتيوس فقد قال: لو كان من الممكن أن تخلط مصلحة الكاهن بالمصلحة القومية لصارت الأديان توكيدا لكل قانون حكيم انسان، بيد أن هذا

الفرض محال. فمصلحة السلك الكهنوتي كانت في كل مكان منعزلة ومتميزة عن مصلحة العامة. إن الحكم الكهنوتي ابتدء من حكم اليهود إلى حكم البابا قد ظل على الدوام بين ظهرانينا.

وفي هذا الشأن، أمام روسو اللثام بالفعل في العقد الاجتماعي في أن الملك لا ينتمي إلى الحق الإلهي وإنما إلى الحق الإنساني.

ديدرو والتنوير:

يعد ديدرو برفقة دالمبر من رواد الموسوعة الفرنسية الشهيرة ، والتي ساهمت بشكل كبير في تطوير ونشر الثقافة والمعارف في أوربا رفقة هولباخ وهلفتيوس وروسو. وديدرو هو من وضع برنامجها ، وهو برنامج كان موجه ضد، وبعفعل الموسوعة وفلاسفتها تم صياغة مفاهيم أساسية للتنوير الفرنسي مثل مفاهيم الإنسان الطبيعي والمساواة والعدالة والحرية والقانون وغيرها...

كما عمل ديدرو على تثبيت المفاهيم المادية الأولية وأسبقيتها على الوعي، حيث أكد المفهوم الأبدي وغير قابل للزوال لطبيعة الحركة.

فولتير والتنوير: يعتبر فولتير من مؤسسي الأنوار الكبرى حيث وظف الأدب والشعر والمسرح في عملية التنوير، عاش في عهد لويس الرابع عشر، وفي سنة 1718 أدخل إلى السجن ثم نفي إلى بريطانيا وفيها نشر كتابه" رسائل فلسفية"، وقد أمن في قدرة الأدب على تحويل الواقع لما أفضل وعلى بناء واقع بشري جديد، كما صخر فكره وكتاباته في محاربة الأوهام والخرافات وصراعه المستميت مع الكنيسة والانغلاق اللاهوتي، كما اعتبر أن الطبيعة البشرية قادرة على تكييف الظروف الاجتماعية المرغوب فيها، كما أنه انتقد الخلفية الأيديولوجية للنظام الاقطاعي والاستبدادي خاصة منها العقيدة الكاثوليكية، في مقابل عمل على صناعة إيديولوجية بديلة تخص الثورة والجمهورية الجديدة، وفي هذا الشأن يقول: الجمهورية منبثقة

عن اتحاد الأسر وهي الشكل البدني للدولة، فتلك هي في نظره مسيرة التطور، أما الحرية فهي تتمثل في أن لا يخضع الفرد إلا لسلطة القوانين، والعبودية تنافي في الجوهر الطبيعة، وتتمظهر الحرية في أشكال مختلفة مثل حرية الرأي والصحافة وحرية العمل وغيرها.

تظهر إدانة فولتير لظاهرة اللامساواة في حقوق الملكية والثروات، وهو هنا يعرض مونتيسكيو الذي كان يرى ألا وجود للملكية إلا بوجود طبقة النبلاء متسائلا: أفلا يشكل النبلاء عبئا إضافيا على كاهل الشعب؟ أفليس من الأفضل البحث عن الكفاءات في صفوف سائر الطبقات بدلا من حث طبقة النبلاء على التمسك باستقلالها السابق.

لقد كان فولتر ومن دون شك بمواقفه لمسألة الحرية والمساواة والملكية الملهم الأساسي لحقوق الإنسان1789، كما ساند فولتر فكرة الحاكم المستنير ونقده لفكرة الأصل الالهي للملكية.

في كتابه"رسائل فلسفية" أعلن اعجابه بالدساتير الإنجليزية وأجرى مقارنة بينها وبين الدساتير الأوربية الأخرى، حيث قال في كتابه" حوار بين أ وب وج" أن قوانين الانجليز هي الأفضل في العالم بما أنها أكثرها ضمانا للعدل والمساواة، وأكد أيضا في كتابه"القاموس الفلسفي" أن البشر في ظل الأنظمة الملكية غالبا ما يكونون محرومين من حقوقهم الطبيعية، كما أنه انتقد فكرة أن التاريخ هو خطة من وضع الاله، وهي تشبه أفكار بوسييه عن التاريخ بل التاريخ من صنع الإنسان.

وخلاصة القول هي أن مساهمات فولتير في اثراء التنوير الفرنسي كانت حاسمة بشكل كبير سواء بكتاباته أو بفكره ونضاله السياسي الذي جعل منه مرجعا مهما للتنوير.